

15 يوليو 2008

مذكراته تشرح أسباب تخلفنا

د. رؤوف عباس ظل ينادي جارتته أم جرجس بـ «ياعمتي» لأن أبو جرجس كان يقول لجذته «ياحماتي»

طلعت رضوان



أصدرت مجلة الهلال يوليو 00 عددًا تذكاريًا عن ضباط يوليو 5، فكتب د. رؤوف عباس دراسة عن مذكرات الضباط، فذكر أن الرئيس السادات غضب من عبداللطيف البغدادي الذي صور السادات بصورة لم تعجبه، وكانت النتيجة امتناع الإعلام عن الإشارة إليها. وعن مذكرات محمد نجيب الصادرة عن دار نشر بيروتية عام 57 فقد تم منع تداول الكتاب في مصر بطبعته العربية والإنجليزية. وأشاد د. رؤوف بمذكرات جمال حماد. كما تعرّض لمذكرات كمال رفعت عن حرب التحرير الوطنية التي تضمنت تسجيلًا لأعمال الكفاح المسلح في منطقة القناة. دراسة د. رؤوف بالغة الأهمية ويرجي الرجوع إليها.

الرحيل المفاجيء للراحل الجليل جعلني أعيد قراءة كتبه عن تاريخ مصر الحديث، خاصة اهتمامه بالطبقة العاملة والنقابات العمالية. ولكن الكتاب الذي يطيب لي الرجوع إليه بين الحين والحين هو كتابه مشيناها خطي منذ صدره عام 004 عن دار الهلال. الكتاب سيرة ذاتية من نوع نادر. فيذكر أنه وهو المسلم ظل يقول لجارة جذته أم جرجس يا عمتي حتى بلغ الثامنة من عمره. والسبب أن أم جرجس كانت تنادي جذته لأبيه يا أمي وتخطب أبيه يا خويا لذلك اعتقد الطفل رؤوف أن أم جرجس شقيقة والده. خاصة أن أبو جرجس كان يقول للجدة يا حماتي أما عذبة هرمس بشبرا فهي مصر الصغرى. عاش سكانها معًا وكانهم أسرة واحدة. يأكلون معًا من طبق واحد. وكانت النسوة المسلمات والقطيبات يتبادلن إرضاع الأطفال. والجميع لايفوته واجب عيادة المرضى وتقديم التهاني في الأفراح والتعازي في الأحزان.

صاحب المصلحة

ورغم أن د. رؤوف حصل علي ليسانس الآداب، ورغم أنه تقدم بطلب الي وزارة التعليم، فقد وجد اسمه في كشوف المؤسسة العامة للصناعات الكيماوية وآخرين مثله. وذكر أن لاعب كرة إبتدائية كان مرتبه يزيد قليلا عن ضعف أجره. وفي واقعة شراء ثلاثة أوناش تبين أنها وهمية بعد مراجعة مستنداتها بصفته مراجع حسابات كتب مذكرة الي رئيس الشركة الذي قال له إنت إيه دخلك؟ فردّ عليه أنا صاحب مصلحة، لأن الشركة ملك للشعب وأنا واحد من الشعب ثار رئيس الشركة وقال يا ابني إنتم بتصدقوا الكلام الفارغ اللي بيقوله عبدالناصر؟ دا عاوز بس يضحك علي الناس كتب د. رؤوف شكوي الي عبدالناصر. وبعد ثلاثة أسابيع استدعاه رئيس مجلس الإدارة وفي يده الشكوي المقدمة الي عبدالناصر، وقال له عرفت إن عبدالناصر بيضحك علي المغفلين اللي زيك؟ وعلي فكرة مخصوم منك خمسة أيام وحرمان من العلاوة عرف رؤوف بعد ذلك أن رئيس مجلس الإدارة كان من أخوال شمس بدران وكان ذلك النموذج البارز في القطاع العام الذي تحوّلت شركاته الي عزب لرؤسائها.

كان د. رؤوف يعد رسالة الماجستير عن النقابات العمالية. وكان يحتاج الي المراجع. ذهب الي النبيل عباس حليم. بعد التحية قال له قبل ما نتكلم أريد أن أريك ما فعله ال كلمة قبيحة يصعب كتابتها بالعمال وكان يقصد المذبحة التي دبرها ضباط يوليو ضد العمال في كفر الدوار وإعدام خميس والبقري. فردّ رؤوف إنها نقطة سوداء في تاريخ النظام كان النبيل عباس حليم يحتفظ بألبومات ضخمة تضم صفحات الصحف التي تحمل أخبار النشاط العمالي. ووافق علي أن يعيره في كل أسبوع ثلاثة ألبومات، فتوفرت لديه مادة البحث. وبعد خروج الشيوعيين من معتقلات عبدالناصر، زار. رؤوف المناضل يوسف المدرك ليسمع منه تجربته عن النقابات العمالية. استدعت

المباحث رؤوف بسبب زيارته للمدرك. نصحه أستاذه بقطع علاقته به. استجاب للنصيحة التي جذّبه الاعتراض علي تعيينه بالجامعة.

زيف الأنظمة

ترجم د. رؤوف كتاب اليوميات والشهادات عن ضحايا هيروشيمانا وناجازاكي عام 75 وطبعه علي نفقته الخاصة. وكتب في الإهداء الي أصدقاء أميركا.. عظة وعبرة اكتشف وجود تعليمات من المباحث بعدم طرح الكتاب للبيع. قبلت مكتبة الخانجي تصديره الي دول جبهة الرفض العراق. سوريا. ليبيا. الجزائر. رفضت الرقابة في هذه البلاد دخول الكتاب. عن هذه التجربة كتب د. رؤوف أنه اكتشف زيف تشدق النظم العربية التقدمية بشعارات معاداة الامبريالية. ومدى ارتباط أجهزتها الأمنية بالولايات المتحدة الأمريكية.

وعن تجربته بالجامعة قال د. رؤوف إن الأساتذة كانوا منقسمين الي أحزاب لا علاقة للعلم بها. وأجاد البعض لعبة العميل المزدوج وفي انتخابات الاتحاد الاشتراكي بالكلية وقف أحد المرشحين يحذر زملاءه من إعطاء طسواتهم لعميد الكلية يحيي هويدي لأن أخاه أمين كان رئيساً للمخابرات. فردّ عليه العميد يا دكتور. أنا لي الشرف أن يكون أخي رئيس المخابرات. لكن تحب أقول للناس مين اللي بيكتب تقارير عن زميله للمخابرات وغيرها من أجهزة الأمن؟ فسكت الأول واختفي عن الأنظار. في هذا المناخ المباحثي استغل كثيرون تعيين السيدة جيهان السادات معيدة. وتخصصت احدي عضوات هيئة التدريس بدرجة أستاذ مساعد من قسم اللغة الألمانية في استقبالها عند حضورها الي الكلية وإعداد القهوة لها بنفسها. وكانت المكافأة علي هذه الخدمة الوطنية قرار تعيينها بمنصب المستشار الثقافي بسفارة مصر بألمانيا. وتسابق أعضاء هيئة التدريس للحصول علي بعض المصالح من السيدة الأولى ولكن ذلك لا يبلغ ما بلغته مكافأة عميد الكلية الذي صعد الي منصب نائب رئيس الجامعة ثم كان أول رئيس لمجلس الشوري. أما رئيس الجامعة فكانت مكافأته توليه رئاسة مجلس الشعب وكان طبيعياً أن رئيس الجامعة الذي يجلس علي كرسي لطي السيد لا يعرف من هو لطي السيد.

أقباط ومسلمون

شرح د. رؤوف د. يونان لبيب رزق للتدريس بقسم التاريخ فاعترض أغلب الدكاترة. وقال له رئيس القسم إن الله لن يغفر له هذا الجرم لترشيح هذا الدكتور المسيحي. وفي عام 92 طلب مستشار المواد الاجتماعية من د. رؤوف ترشيح أحد الأساتذة لوضع امتحان الثانوية العامة فاقترح اسم د. يونان فضحك الرجل وقال هو سيادتكم مش عارف إن الأمن مانع أهل الذمة من وضع الامتحانات قال د. رؤوف إنه سوف يبلغ الوزير بذلك. ردّ الرجل عليه الله يسامحك. وزير إيه؟ إنت فاهم الوزير يقدر يكسر كلام الأمن؟ وبعد أن كتب د. رؤوف مقالا في صحيفة الأهالي أحيل الموضوع الي مجلس الشعب. ووقفت د. مني مكرم عبدي تؤيد الوزير وتهاجم د. رؤوف الذي كتب بعد ذلك أن لديه معلومات تؤكد منع الأقباط من وضع الامتحانات وأيضاً منع تأليف الكتب الدراسية. وفي هذا المناخ الديني المتعصب ذكر د. رؤوف عدة أمثلة علي عدم تعيين الطالبات المسيحيات المتفوقات بوظيفة معيد.

في نوفمبر 78 دعت رئاسة الجمهورية الي مؤتمر علمي لتتقيف الشباب في معهد الدراسات الذي كان يسمي مركز الدراسات الاشتراكية. واكتشف د. رؤوف أن من بين كل ستة أساتذة يجلس أربعة من ضباط المخابرات. في هذا الاجتماع قال الرئيس إن رجال الصحافة لم يهتموا بالشباب. وخصوصاً الجيل الذي أصابه العفن. وضرب مثلاً بمصطفى أمين فقال أنا أعلم تماماً أنه سبة يصعب كتابتها وأنه أخرجه من السجن ليتصدي ل نفس السبة الذين يُسمون أنفسهم ناصريين. ولكن لماذا انقلب السادات علي مصطفى أمين؟ السبب مقال الأخير أهلاً بالوفد فقال السادات ماشفتوش كلمة بذينة أكثر من كذا؟ فضجت القاعة بالتصفيق. رغم أن د. رؤوف يدافع عن انقلاب يوليو فإنه يتسلح بلغة العلم ويتجرد من ذاتيته. ومن الأمثلة التي ذكرها مظاهرات الطلبة والعمال احتجاجاً علي الأحكام الهزيلة ضد بعض الضباط عام 68 بسبب هزيمة 67. عقب هذه المظاهرات خطب عبدالناصر الذي استنكر المطالبة بالحرية. واعتبر أن الحرية هي في فرص التعليم والعمل. وأن المواطنين ليس لهم أي شأن في مناقشة أي قرار سياسي فضلاً عن أن يكون لهم حق المشاركة فيه وأعتقد أن أفضل تكريم للراحل الجليل هو إعادة طبع سيرته الذاتية ضمن مشروع مكتبة الأسرة، ليعرف الجيل الجديد أسباب انهيار التعليم وأسباب طغيان اللغة الدينية المؤدية الي التعصب. وبالتالي أسباب التخلف المادي والحضاري منذ يوليو 52.

http://www.alkaheranews.gov.eg/new_test/index.asp?ser=430&sery=2008&serd=15-07-2008